

السلوك البشري في سياقه القرآني
نحو تطوير مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان
-دراسة مفاهيمية تأصيلية -

Ibrahim Bouzidani / إبراهيم بوزيداني

دكتور محاضر، جامعة إسطنبول كلية الإلهيات، قسم علم النفس الديني، تركيا
ibrahim.bouzidani@istanbul.edu.tr Orcid.org/0000-0003-3585-9352

Dr. Öğretim Görevlisi., Istanbul University Faculty of Theology, Department of Psychology of Religious, Turkey
ibrahim.bouzidani@istanbul.edu.tr Orcid.org/0000-0003-3585-9352

ملخص

هدفت الدراسة إلى تطوير تقنية تشخيص سلوكي، تستند في جوهرها وتفاصيلها إلى المرجعية الإسلامية، المستمدّة من القرآن الكريم والسنّة النبوية، وما تمّ خوضُهُ عَنْهُما من معارفٍ وعلومٍ. حيث ارتكزت عملية تطويرها على أساسين هامين "موضوعية الأخلاق" و "فطريّة البصيرة". حيث ومن خلال الاعتماد على منهج "تحليل المحتوى الاستقرائي" ، توصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم تناول السلوك البشري وصنفه وفق خمسة سياقات كبرى، هي: العضوي -البيولوجي-، الموضعي، النسقي، الجغرافي -المكاني-، وأخيراً الزماني. كما أضافت الدراسة دورية السلوك وتكراره، وكذا النية والمقصد الموجه للسلوك للأنساق الخمسة سابقة الذكر، لتشكل في الأخير مصفوفة اصطلاح على تسميتها "مصفوفة التصنيف القرآني للسلوك". هذا المصفوفة تساعد الإنسان على تشخيصي سلوكه وتفكيره من أجل التعرف على مكامن الضعف والقوة في انماطه السلوكية، من الرقي بالحسن للأحسن، وتقويم المنحرف منه، لتحقيق حوره الأسمى المتمثل في إنسانيته، ومنه إلى التحقيق العملي لمفهوم الحياة الطيبة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، مصفوفة السلوك ، العبودية، الإنسانية، موضوعية الأخلاق، فطريّة البصيرة.

مقدمة

تعتبر المدرسة النفسية الإسلامية متميزة في نظرتها للسلوك البشري، لذلك نجدها تولي قدرًا كبيرًا من الاهتمام لتوجيهه الوجهة الصحيحة. حيث تعتمد في تحقيق ذلك على أساسين هامين هما "موضوعية الأخلاق" و "فطرية البصيرة". ذلك لأن في الإنسان قابلية "التأثير" و "التأثير"، لذا كان لابد من صيانة قابلية التأثير لديه، حتى لا يكون مصدراً للفوضى السلوكية السلبية في الوجود الإنساني المتعدد، ولكي لا يكون في الوقت نفسه مجالاً رحباً للمؤثرات الخارجية المنافية للفطرة السلمية، والذوق الرفيع والكلمات الإنسانية. وبهذا يظل هذا الإنسان سليماً لتظل تأثيراته سليمة صحيحة. هذا المسار الذي رسمه الدين الإسلامي في نظرته الكلية للسلوك البشري، يكون من خلال الاتباع والاقتداء بما جاء في مصادره الأساسية، المتمثلة في القرآن الكريم، والسنّة نبوية.

وبناء على هذه الأهمية، فلقد استوعب القرآن الكريم كل طرائق وأساليب قراءة وتصنيف الفعل البشري. بحيث لم يترك للإنسان أي فراغ معرفي في هذا الصدد. ويهدف الوصول إلى هذه الحقيقة تم الاعتماد في هذه الدراسة على تقنية "تحليل المحتوى الاستقرائي- Inductive Content Analysis" ، وهي من التقنيات البحثية المعتمدة. حيث ترتكز على وصف البيانات النصية، وتفسيرها، باستخدام عملية منهجية للترميز، والتفسير، تهدف إلى تطوير المعرفة وفهم الظاهرة قيد الدراسة. وهي منهجية تناسب وطبيعة دراستنا، كونها تهدف لاستقراء نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن القرآن الكريم تحدث عن خمسة سياقات عامة يمكن أن تتشكل فيها أو بها السلوكيات البشرية، وتمثل في الآتي: أولاً- التصنيف العضوي البيولوجي: ويشمل الأعضاء التي قد يستخدمها الإنسان في إحداث الحركة أو الفعل. ثانياً- التصنيف الموضعي -داخلي/خارجي:- وهو ما يصدر من أفعال داخلية -باطنية- من أفكارٍ ومشاعرٍ، أو خارجية مثل الكلام، والبطش، وغيرها. ثالثاً- التصنيف النسقي: ويقصد به ما هي الفئات أو الأنماط الاجتماعية التي يتعامل معها الإنسان. رابعاً- التصنيف الجغرافي -المكاني:- وهو الفضاء الجغرافي الذي قد يقع فيه الفعل البشري. خامساً وأخيراً- التصنيف الزماني: والمقصود به السياق الزماني الذي قد تقع فيه الحركة والفعل البشري.

تكمّن أهمية هذه الدراسة في تطوير مقاربة تكاميلية تضع كل التصنيفات السابقة للسلوك ضمن آلية للتصنيف السلوكي، ودوريته، لنحصل على ما يمكن تسميته بـ"مصفوفة التصنيف القرآني للفعل البشري".

هذه الأخيرة تساعد في معالجة السلوك بكل مكوناته المعرفية، والعاطفية، والروحية، والحركية، بطريقة منهجية مبتكرة، تتيح للمختص في العلاج السلوكي وغير المختص -على حد سواء-، على تحليل سلوكه بمنهجية وتصنيف العادات بدقة، ومعرفة حقيقتها، وبالتالي تساعدنا على دعمها وتطورها إن كانت إيجابية، أو التخلص منها إن كانت سلبية.

منهجية الدراسة

تمَّ اعتماد منهج "تحليل المحتوى الاستقرائي" Inductive Content Analysis، لمناسبته موضوع البحث المطروق في هذه الدراسة، وهو من التقنيات البحثية المعتمدة، وتستخدم في العديد من فروع العلم والمعرفة. حيث ترتكز هذه التقنية على وصف البيانات النصية، وتفسيرها، باستخدام عملية منهجية للترميز، والتفسير، بغرض تطوير المعرفة والفهم للظاهرة قيد الدراسة. وهي منهجية تناسب وطبيعة دراستنا، كونها تهدف لاستقراء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وما ورد من قراءات معرفية حوله هذه النصوص من طرف العلماء والباحثين، قدِّماً وحدِيثاً، حول حقيقة السلوك البشري، وما يحويه من تفاصيل نظرية واجرائية؛ ومن ثمَّ استخلاص الموارد المعرفية التي تساعدنا في رسم معالم المنهجية العلمية والعملية المتعلقة بدراسة السلوك البشري ضمن السياق القرآني. يرى بعض الباحثين أن لتقنية "تحليل المحتوى الاستقرائي" خمس خطوات أساسية، يجب استيفاؤها حتى يحقق الباحث مراده المعرفي، وهي كالتالي: الخطوة الأولى، قراءة وفهم النصوص المراد دراستها، والخطوة الثانية تمثل في تحديد الصورة الكبرى للموضوع المستهدف بالدراسة؛ أما الخطوة الثالثة، فتهدف للوصول إلى المعنى والنصوص الدقيقة المعبرة عن موضوع الدراسة؛ بعد عملية التدقيق السابقة تأتي الخطوة الرابعة لتركيز النقاط النوعية في النصوص، والتي تعتبر المدخل الأساسية لمكونات وعناصر الدراسة، لذلك نجد من الباحثين من يفضل تسمية هذه التقنية بـ "تحليل المحتوى النوعي Qualitative Content Analysis"؛ وتختم هذه التقنية بخطوة خامسة تمثل في التوليف والتفسير لتلك المعلومات النوعية المستقاة من النصوص الأصلية أو الفرعية، وإعادة بناء منتج معرفي

جديد¹. بهذا وبناء على ما سبق، ستكون الخطوات التي رسمها هذا المنهج سبيلاً متابعاً من أجل الوصول إلى الفائدة المرجوة، والمتمثلة في تحديد ما يمكن تسميته بـ"مصفوفة التصنيف القرآني للفعل البشري"².

مفهوم الإنسان، ضمن الطرح المادي والطرح القرآني

لا يمكن الحديث عن السلوك البشري، وتفاصيل ما يتعلق به من قراءات نظرية، وميكانيزمات عملية، دون التطرق لماهية الإنسان، وفهم الإطار النظري الحاكم لتوجهنا التحليلي للسلوك. فحين نعلم أنه يستحيل خلو أي منظور نفسي مهما كانت درجة عمقه أو سطحيته، من فلسفة معرفية حاكمة للأسلوب العلاجي أو التوجيهي والإرشادي. ولا أدل على ذلك من تصريح كارل روجرس (Carl Rogers 1902-1987)، وهو أحد رواد المدرسة (الإنسانية) في علم النفس حيث قال: "لكل تيار في علم النفس فلسفة الضمنية الخاصة به عن الإنسان. وهذه الفلسفات، وإن كانت في الأغلب لا تطلق بصراحة، تمارس نفوذها بأساليب خفية هامة"³. حيث تعتبر هذه المسألة هي جوهر الخلاف بين المنظور الإسلامي للإنسان وسلوكه معي بقية المنظورات المادية في الشرق والغرب. لذلك يعتبر الخطأ في مفهوم الإنسان مسبباً للوقوع في خطأ أكبر وأعمق من الخطأ في المنهج المستعمل في دراسة ظاهرة ما⁴. لأن تعاملنا مع الإنسان، وتصميم طرائق علاجه وإرشاده، هو نتيجة طبيعة لتصورنا لحقيقة، فـ"الحكم على شيء فرع عن تصوره كما تقول القاعدة الفقهية"، لأن تصوير المسائل على وجهها ثم نقل أحکامها بعد استتمام تصويرها جليانها وخفياتها لا يقوم به إلا فقيه النفس، ذو حظٍ من الفقه"⁵.

تعددت تصورات رواد المدارس النفسية حول الإنسان ، فمنهم من اعتبرته "خاضعاً" ، وهو ما ذهب إليه رائد المدرسة (السلوكية)، فريديريك سكينر (B. F. Skinner 1904-1990)، حيث يرى أن الإنسان كائن بيولوجي، لا خيار له في آرائه إلا في مستوى خياراته في الهضم الذي يجري في بطنه. كما أنه لا يؤثر في العالم،

¹ Years, D.F., & Gillam, L., "Inductive content analysis: A guide for beginning qualitative researchers. Focus on Health Professional Education", A Multi-Professional Journal. 23/1 (2022): 111-127.

² نشير أننا اعتمادنا أيضاً على المنهج المقارن في بعض جوانب الدراسة، وخاصة ما تعلق بالمقارنة بين المدرسة النفسية الإسلامية والغربية حول مفهوم الإنسان، وجواهره.

³ روبرت أغروس، وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال خلايلي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 1989)، ص 112.

⁴ محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، ط2، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2002)، ص 121.

⁵ ابن الصلاح الشهري، أدب المفتي والمستفتى، تحقيق: موفق عبد الله بن عبد القادر (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1986)، ص 100.

بل العالم هو الذي يؤثر فيه⁶. أما لورانز Konrad Lorenz (1903-1989)، الذي تبني النظرية التطورية كموجة فكري، اعتبر الإنسان كائناً "برمجاً"، فالنسبة له فالإعداد عند تكوين الأنواع ليس إعداداً للأعضاء فقط، بل لوظائفها أيضاً. وطريقتنا في التعامل مع الواقع ليست نعمة من السماء، بل نتيجة تطور بيولوجي⁷. في حين اعتبر فرويد Sigmund Freud (1856-1939)، الإنسان كياناً "منقسمًا"، حيث يعيش صراعاً قائماً في نفسه، هذا الصراع الناتج عن تباين وظائف جوانب الشخصية الثلاثة: الهو (Id) بما يحمل من رغبات جنسية محمرة ، والأنا (Ego) بما يمثله من قيم وتقاليد ومعايير المجتمع، والأنا الأعلى (Super - Ego) وبما يمثله من ضمير والمثل العليا للفرد، وان الحياة اللاوعية هي الأصل الحاكم في الحياة الوعية للإنسان، وبالتالي أصبح الإنسان في نظره غير مكلف ولا مسؤول⁸. وعلى هذه التصورات أسمست الشخصيات السابقة منظوماتها العلاجية والإرشادية⁹.

لكن بالمقابل، واستناداً لمحورية مفهوم الإنسان وأثرها العميق في تصميم المناهج النظرية والبرامج العملية الحاكمة لمختلف مناحي حياة الإنسان، نجد المدرسة النفسية الإسلامية اعتنت عناية قصوى بتعريف الإنسان بحقيقة وأصله. وهذا ليكون هذا التصور لحقيقة وأصله، ومصيره الحاكم لكل علومه وأعماله. فلقد ذكرت مفردة (إنسان) في القرآن الكريم (65) مرة، تسعه (9) منها في القرآن المدني، والباقي كله في السور المكية. وهو دلالة واضحة على أن المنهجية الدعوية والإصلاحية التي جسدها رسول الله وأصحابه رضوان الله عليهم، كانت مؤسسة على عقيدة راسخة حول الماهية الحقيقية للإنسان. بالإضافة إلى ذلك، وهو دليل آخر على محورية مفهوم الإنسان في الدين الإنسان، وما ينبثق منه من مدارس وتوجهات، نجد أن قصة آدم عليه السلام قد وردت في القرآن الكريم سبع مرات (7)، وذكر اسمه خمس وعشرين (25) مرة¹⁰. وورود هذه القصة بصيغ مختلفة هذا يوحى بأهمية حقيقة ماهية الإنسان وتاريخ نشاته وظهوره في هذه الحياة. وهذه الإيرادات المتنوعة للقصة الواحدة كما يشير الألوسي (ت. 167هـ) في "روح المعاني"، في حديثه

⁶ Brennan, J. F., *History and systems of psychology*, (New Jersey: Prentice-Hall, 1998), p 274.

⁷ Ibid. p 313.

⁸ Ibid. p 229.

⁹ نزار العاني، الإسلام وعلم النفس: مسرد "بيبليوغرافيا" لبحوث ودراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ط 1، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008)، ص 15.

¹⁰ أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، ط 1، (المغرب: الدار المغربية للنشر والتوزيع، 2024)، ص 7.

عن قصة آدم عليه السلام وإبليس، يؤكد على أهمية الموضوع المذكور، والفوائد المتنوعة باختلاف الضياغات والسياقات التي ذكرت فيها¹¹.

وعليه فقد ذكر مفردة (الإنسان)، وجاءت قصة آدم لتأريخ حياة البشرية كلها، كما أنها جاءت حكماً يفصل في النظريات التي تحدثت عن أصل الإنسان. وقد لخص بوعود (2024)¹²، و الوعاعطي (2016)¹³، في دراستهما جملة من خصائص الإنسان من المنظور القرآني والتي تمثل فيما يلي:

1. الإنسان خلق بأمر من الله، بصورة كاملة حسنة وفي أحسن تقويم.

2. الإنسان جسد وروح.

3. للإنسان إرادة تحكم سلوكه.

4. الإنسان له عواطف وفكرة وحركة.

5. الإنسان مخلوق له قابلية الخطأ والصواب.

6. الإنسان مخلوق إجتماعي.

7. للإنسان القدرة على تصحيح أخطائه من خلال التعلم.

8. الإنسان يعرف سبيل صحته النفسية، وأساليب السعادة الدنيوية والأخروية.

9. الإنسان يعرف من أين أتى، وما دوره في الحياة، وما هو مصيره.

وبهذا نجد أن القرآن الكريم قد رسم معالماً واضحة تتعلق بتفاصيل الإنسان، نشأة، ووظيفة، ومصيرًا. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد رغم تفصيله، وشموله، بل نجد أن علماء الإسلام قد خاضوا بالنقاش والدراسة في مفهوم الجوهر الإنساني، وفي الوقت الذي جاءت الحضارة المادي لتلخص جوهر الإنسان في بعده البيولوجي، بعد أن تجاوزت منطق التعقل الذي جاء بع فلاسفة اليونان، نجد أن علماء الإسلام وصلوا إلى تحقيق مبدأ أكثر عمقاً وتوازناً في تحديد جوهر الإنسان، وهو الأمر الذي يدفعنا للحديث عن حقيقة "إنسانية" الإنسان.

الدين الإسلامي وإنسانية الإنسان

¹¹ أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج 8، ج 15-16، الآية (1) سورة الإسراء-الآية (135) سورة طه، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994)، ص 278.

¹² أحمد أبو العود، ص 241-44.

¹³ أحمد واعطي، الإنسان من منظور الإسلام، ترجمة: عبد الله البوغبيش، ط 1، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2016)، ص 83-177.

في المراحل الأولى لخروج أوروبا من سيطرة الكنيسة ظهرت عقليات متطرفة في تقدير العلم، ومعادية بشكل كبير لمعتقدات وأفكار الكنيسة. وبرزت ثلاثة مواقف بأوروبا عمدت إلى تحكير الإنسان والحطّ من قيمته، حيث ركزت على البعد المادي فيه، وألغت البعد الغائي. حيث تعرض العالم العربي لضربيتين كبارتين، كانت الضربة الأولى والتي أطلق عليها إسم "فقدان المركزية"، على يد الفلكي كوبننيكوس Copernicus (1473-1543) الذي خلع الإنسان "المغرور" عن عرشه في مركز الكون، وعلى ضرورة تسلیمه أنه مخلوق بالغ الصغر. يسكن كوكباً تافهاً يدور حول نجم لا شأن له. ذلك أن منطق المادة ينكر الغائية، ذاهباً إلى أن الكون ليس سوى مادة، وبالتالي لا يمكن أن يكون في الأشياء الطبيعية أي هدف، لأن المادة لا تستطيع أن تقصد هدفاً أو ترسم خطة، بل تتصرف بضرورة ميكانيكية داخلية فحسب. وبالتالي يتحتم على التفسيرات العلمية أن تقتصر على الأساليب المادية والميكانيكية فحسب¹⁴.

أما الضربة الثانية، والتي سميت بـ"فقدان التصميم الرشيد" فكانت على يد داروين Charles Darwin (1802-1882)، وتمثلت في تدمير مكانة البشر المفترضة بين الخلق، وأنثبتت أن الإنسان ليس إستثناء في مملكة الحيوان¹⁵. عزّزَت هاتان الضربتان بضربة ثالثة لعالم النفس فرويد والتي سميت بـ"فقدان الوضوح"، حيث عَبَرَ عنها فرويد Sigmund Freud (1856-1939) بأن الوعي أو الشعور ليس هو المسيطر حتى على زمام الأمور في جسده. بل إن "الأنما" في أصله مسيطر عليه بداعي اللاوعي، التي لا يعلم عنها شيئاً، فهي ليست واضحة له، وبالتالي تستحيل سلطتها عليها¹⁶. لقد سيطرت تلك المفاهيم القائلة أن الإنسان "التافه" الموجود على أرض "تائهة" في كون "غامض"، رغم ظلامية هذه الأفكار، لأنها مفاهيم قدمها العلم التجاري -حسب رأيهم-، الذي أصبح المصدر الوحيد لتعريف الإنسان.

كانت كل هذه المخرجات نتيجة طبيعية لعودة انبعاث حركة الفكر اليونانية واللاتيني القديم الذي سطر معالمه الأولى الفيلسوف والسياسي الروماني شيشرون Marcus Cicero (106-43 ق.م)، أب المدرسة الإنسانية، والذي عرَّفَ الإنسان المتحضر بأنه: "ذلك الإنسان القادر على التفلسف في الأمور الإنسانية، بينما يقوم أيضاً بتدريب الصفة على مهارات الخطابة العامة والإقناع"، هذه الرؤية التي جعلت جوهر الإنساني يتمثل في تعقله، نجدها تتطور لتسلخ عنه الدين والغاية على يد رسول المذهب الإنساني إراموسوس

¹⁴ روبرت أغروس، وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ص 53.

¹⁵ فريديل فايبرت، كوبننيكوس وداروين وفرويد: ثورات في تاريخ وفلسفة العلم، ترجمة: أحمد شكل، مراجعة: محمد فتحي خضر، (المملكة المتحدة: مؤسسة الهنداوي، 2017)، ص 268.

¹⁶ فريديل فايبرت، كوبننيكوس وداروين وفرويد: ثورات في تاريخ وفلسفة العلم، ص 269.

في القرن الخامس عشر (15)، لتختم بالفلسفة المادية التي هاجم روح الإنسان وجوهره كما هاجم الدين قبله.¹⁷

كما أن المدرسة النفسية الإسلامية لم تقتصر في التأكيد على أهمية مفهوم الإنسان وحقيقة، لم تقتصر أيضاً في تحديد الجوهر الإنساني للإنسان. ولقد تصدى لهذه المسألة الحساسة الراغب الأصبهاني (ت. 506هـ)، في كتابه "تفصيل النشأتين". حيث اعتبر "الإنسانية" ميزة يكتسبها الإنسان، وأنها هي المُوصلة للسعادتين، الدنيوية والأخروية. فالإنسانية بالنسبة له، ليست ميزة لكل "إنسان"، وإنما هي ميزة تحصل فقط شرط حدتها الشرع الحكيم، حيث يقول: "ولم أعن بالإنسان كل حيوان منتصب القامة، عريض الظفر، أملس البشرة، ضاحك الوجه، ممن:

لكن عن هوٰ	ينطقون
ل لكن ما يضرهم ولا ينفعهم	يتعلمون
ل لكن/ ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون	يعلمون
ول لكن يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً	يكتبون الكتاب بأيديهم
ول لكن بالباطل ليحضروا به الحق	يجادلون
ل لكن بالخبت والطاغوت	يؤمنون
ل لكن من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم	ويعبدون
ول لكن ما لا يرضي من القول	ويبيتون
ول لكن كسالى ولا يذكرون الله إلا قليلاً	ويأتون الصلاة
ول لكن من المصلين الذين هم عن صلامتهم ساهون	يصلون
ول لكن إذا ذكروا لا يذكرون	ويذكرون
ول لكن مع الله إلهة أخرى	ويدعون
ول لكن لا ينفقون إلا وهم كارهون	وينفقون
ول لكن حكم الجاهلية يبغون	ويحكمون
ول لكن يحلفون بالله وهم كاذبون	ويحلفون

¹⁷ جيري بروتون، عصر النهضة: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: إبراهيم البيلي محروس، مراجعة: هبة نجيب مغربي، ط١، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص .43

فهؤلاء وإن كانوا بالصورة المحسوسة ناساً، فهم بالصورة المعقوله لا ناسٌ ولا نسناً¹⁸. تلك الأوصاف المتعلقة بانتصاب القامة، وعرض الظُّفر بالنسبة له، تعبّر عن الصورة المحسوسة للإنسان. لكن الأصل هو أنَّ "الإِنْسَان" يقال على ضربين: عام وخاص، فالعام: "أن يقال لكل منتصب القامة مختص بقوّة الفكر واستفادة العلم"، أمّا الخاص فيوصف به من: "عرف الحق فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه، وهذا معنى يتضافل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتاً بعيداً، وبحسب تحصيله يستحق الإنسانية وهي تعاطي الفعل المختص بالإنسان فيقال فلان أكثر إنسانية"¹⁹.

بهذا نصل إلى نتيجة مفادها أنَّ ماهية الإنسان وجواهره المتمثل في "إنسانيته" في العقيدة الإسلامية، تميّز من الناحية المفاهيمية عن باقي الأديان والفلسفات، ذلك حسب ما يشير النجار (1988)، "أن القرآن يجعل شهادة التوحيد عنصراً من طبيعة الماهية الإنسانية التي خلق عليها الإنسان، وهو ما عُبر عنها بـ(الفطرة) كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَآتَقْمُ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُا، فِطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]، ... فماهية الإنسان بالمعنى العام منطوية على التوحيد، إلا أن ذلك التوحيد لا يتحقق بالفعل ليصبح ماهية بالمعنى الخاص إلا بالسعى إلى تحصيل الحق والعمل به²⁰. وهذه الحقيقة تدفعنا للحديث عن معادلة السلوك وعلاقته بالعبادة في حياة المسلم، و المنظور الكلي لفلسفة السلوك في المدرسة النفسية الإسلامية.

الدين والمنظور الكلي للسلوك الإنساني

1- العبادات، سبيل تحقيق وتعزيز مفهوم الإنسانية

العبادة في اللغة: الطاعة²¹، وأصل "العبودية" عند ابن منظور، الخضوع والتذلل²². أما الجرجاني فيعرف "العبادة" بأنها: فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمأً لربه²³. وفي الاصطلاح، يعرفها ابن تيمية رحمه الله: بأنها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"²⁴، هذا التعريف الجامع المانع للعبادة، يوضح أن الأفعال التي تعبد الله بها عباده شملت مختلف الأنماط السلوكية، وكل ما يحبه الله

¹⁸ أبوالغريب الأصفهاني، *تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين*، تحقيق: عبد المجيد التجار، ط1، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988)، ص 52.

¹⁹ أبوالغريب الأصفهاني، ص 88-87.

²⁰ أبوالغريب الأصفهاني، ص 88.

²¹ أبوالفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، *لسان العرب*، مجل 3، ط 3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ) ص 272.

²² أبوالفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، ص 271.

²³ أبوالحسن علي بن محمد الجرجاني، *التعريفات*، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، ط 2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ) ص 149.

²⁴ عبد الحليم بن تيمية، *شرح العبودية*، شرح: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط 1، (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 1998) ص 6.

عَزَّ وجل، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، من أعمال القلوب أو الجوارح واستصحاب بنية سليمة يدخل في دائرة العبادة، ويخرج منها كل فعل أو قول لا يحبه الخالق عَزَّ وجل.

لذلك سنجد عند تتبعنا لنصوص القرآن الكريم، إن هناك شمولية ونظرة كافية في تناصق الأوامر والتواهي الشرعية مع أنماط السلوك المعتددة التي يمكن أن تُبدِّر من الإنسان. فعلى سبيل المثال، يحرُّم على المسلمين الظن السيء بغيرهم من المسلمين، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات: 12]، وهذا أمر إلهي بضرورة تعديل سلوكهم الفكري. أما في الجانب العاطفي فجدر أن الدين الإسلامي يحث أتباعه على ضرورة تعميق عاطفة الحب بينهم، حيث ورد في الحديث القدسي الذي رواه الترمذى: (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)²⁵. أما فيما يخص الجانب السلوكي فقد وردت الكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الحاثة على أنواع مختلفة من السلوكيات، التي تعتبر من السبل الموصولة لتحقيق إنسانيته، وفيما يلي أمثلة أخرى على جملة من النصوص القرآنية التي تتحدث عن أنواع من العبادات تشمل الجوانب الفعلية – الإجرائية، والفكريّة، والشعرية:

- أمثلة عن العبادات الشعرية "العاطفية":

- 1- الخوف: قال الله تعالى: (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 175].
- 2- الرَّجاء: قال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [الإسراء: 57].

- 3- الاستعانة: قال الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5].

- أمثلة عن العبادات الفكرية:

- 1- التدبُّر: قال الله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: 82].

- 2- التفكير: قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّا يُؤْلِي إِلَيْهَا بَابٌ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْنَا هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: 190-191].

²⁵ محمد بن عيسى الترمذى، سنن الترمذى، تحقيق: رائد بن صبرى ابن أبي علفة، ط1، (الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، 2010)، حديث رقم: 2390 ص

3- التأمل: قال الله تعالى: (أَوْلَمْ يَرَوَا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ) [السجدة: 27].

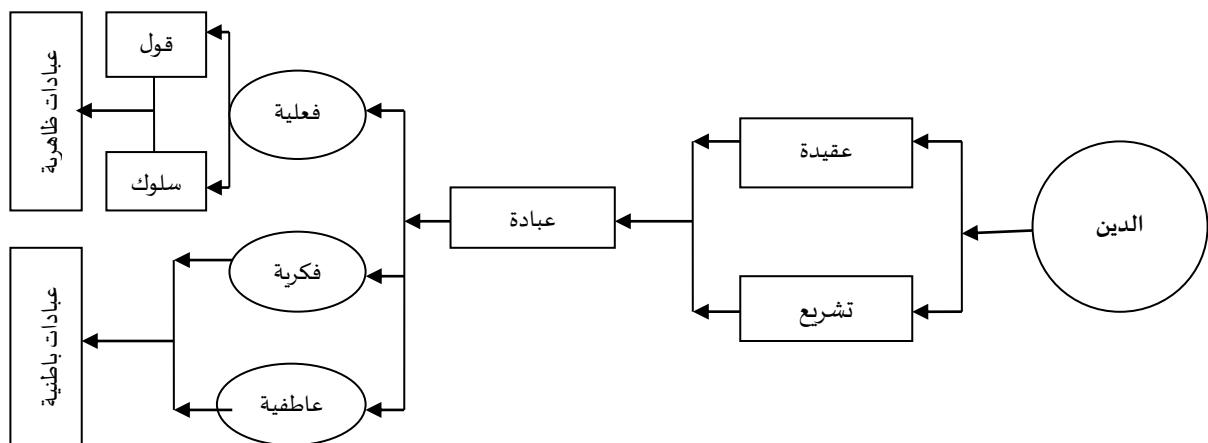
- أمثلة عن العبادات السلوكية:

1- الصَّوم: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: 183].

2- الرَّكَأة: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْيَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: 254].

3- الحجُّ: قال الله تعالى: (وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: 97].

هذه بعض الأمثلة، وهناك غيرها من النصوص في القرآن الكريم والسنّة النبوية يأكّد بوضوح أن تعليم الدين الإسلامي وتشريعاته جاءت مساعدةً لكل الأبعاد المشكّلة لأنماط السلوك البشري. إذن أنتانا نلاحظ أن الدين الإسلامي يحوي قسماً تشريعياً وأخر إعتقادياً. فالجانب التشريعي يسن القوانين الإلهية المنظمة للحياة الفردية والاجتماعية، أما العقيدة فهي العمق المعرفي للجانب التشريعي. ونجد أن كل من الجانبين التشريعي والإعتقادلي له إنعكاسات على أفكار وعواطف وسلوكيات المنتسبين إليه²⁶. ويصطلاح على تسمية إنعكاسات الجانبين التشريعي والإعتقادلي على السلوك والفكر والشعور بالعبادة. ويمكن تلخيص ما ذكرناه سابقاً في المخطط رقم (01) التالي:



²⁶ Loewenthal, Kate, M., *The Psychology of Religion: A Short Introduction*, (Oxford: Oneworld Publication, 2010), p1-47.

المخطط رقم (01): يوضح شمولية مفهوم العبادة لكل أنماط السلوك البشري

وبهذا نجد أن النظام العبدي، الاعتقادي والتشريعي في الدين الإسلامي ينسجم مع سيكولوجية الإنسان وأنماطه السلوكية المتعددة، وبهذا يكون الإنسان قادرًا على تحقيق العبودية مع ما رُكب فيه من أفكار، وعوطف، وأفعال، ولعل هذه الحقيقة تنسجم مع قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَمَهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286].

بعد التطرق لنظرة المدرسة النفسية الإسلامية ل Maher الإِنسان، ورأينا كيف أنها بینت له بوضوح، ماهيته، وغايتها، وحقائقه الوجودي، ووضحت له جوهره الذي يتمثل في إنسانيته، والتي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال العبودية، وبيننا أن العبودية في الدين الإسلام جاءت متوافقة مع خصائص الإنسان البويولوجية والسيكولوجية، وجاءت شاملة مستوعبة لكل أنماط السلوك الداخلي والخارجي، تمكنه من تحقيق مفهوم العبودية الشاملة المتضمنة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 162]، نأتي الآن للحديث عن الفلسفة السلوكية المميزة للمدرسة النفسية الإسلامية من حيث السياقات السيكولوجية التطبيقية.

2- المقاصد الكلية للسلوك الإنساني

تعتبر المدرسة النفسية الإسلامية متميزة في نظرتها للسلوك البشري، وما أولته له من اهتمام من أجل توجيهه الوجهة الصحيحة. ذلك لأنَّ في الإنسان قابلية "التَّأثُّر" و "التَّأثِير"، فكان لابد من صيانة قابلية التأثير لديه حتى لا يكون مصدر للفوضى السلوكية السلبية في الوجود الإنساني المتعدد، ولكي لا يكون في الوقت نفسه مجالاً رحباً للمؤثرات الخارجية المنافية للفطرة السلمية، وتحقيق إنسانية. وبهذا يظل هذا الإنسان سليماً لتظل تأثيراته سليمة صحيحة. فالنظرة الإسلامية للسلوك البشري مؤسسة على حقيقة وجودية تقرر أن: "السلوك البشري لا ينعكس على حياة الإنسان الخاصة فحسب، بل على الموجودات كافة بشكل مباشر أو غير مباشر إذ ما من قوة إلا ولها أثر"²⁷. وعلل بركة (1400هـ) التوجه السابق حيث قال:

"... والإسلام يعتمد في توجيهه للسلوك البشري على (موضوعية الأخلاق) و (فطريّة البصيرة) التي تدركها في بساطة ونقاء، وفي الوقت نفسه تزود الإنسان بالطاقة والقدرة وتنفح فيه العزيمة والإرادة للوفاء بمقتضياتها، وتتدخل في

²⁷ أحمد عبد الرحيم السايف، الحكيم الترمذى ونظرية في السلوك، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2006)، ص 193.

الأحوال التي تلتبس فيها الأمور على هذه البصيرة الفطرية أو التي تغلب فيها الشهوات والرغبات البشرية لتجلو وجه الحق، وتبرز معالم الخير والبر، ومن هذه الناحية تلبس الأخلاق ثوبها الإسلامي وتصطبغ بالصبغة الإسلامية ويصبح الوفاء بمقتضياتها والتمسك بقواعدها مبنياً على المعنى القائم بالعقيدة بحيث يجد الإنسان في امتحال هذه الأخلاق الإسلامية توافقاً بينه وبين عقيدته يبعث في نفسه الرضا والاطمئنان والاستقرار²⁸

فموضوعية الأخلاق، حسب يالجن (2003) تشير إلى الانسجام والتوافق بين ما جاء به الإسلام من مبادئ، وسلوك الإنسان في هذه الحياة، سواء كان هذا السلوك مع نفسه [حالة التأثر] أو مع غيره [حالة التأثير]²⁹، وهو عين المعنى الذي هدفت هذه الدراسة حيث سعت لإثبات أن هناك انسجام بنائياً بين الطبيعة السيكولوجية للإنسان، وبنية التعاليم الشرعية لتحقيق (الموضوعية الأخلاقية) الذي يتناغم مع المفهوم الكلي (للعبودية). فمن خلال موضوعية الأخلاق والسلوكيات التي يتلزم بها الإنسان المسلم، تتحقق معاني عبوديته لخالقه سبحانه، وهذا الالتزام والانضباط السلوكي المستند للهدي الرباني تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ الْسَّلِيمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرْطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15-16]، يوصلان الإنسان لتحقيق إنسانيته، والتي تمثل مبدأ (فطريّة البصيرة)، اتساقاً مع قوله عليه الصلاة والسلام: (كُلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ...)³⁰.

إنّ مبدأي (الموضوعية الأخلاقية – العبودية-)، و(فطريّة البصيرة – الإنسانية-)، يتواافقان مع المنظور الحديث لعلم النفس في تعريفه للسلوك، حيث اعتبر السلوك: "الحركة الداخلية والخارجية في كيان الإنسان كنتيجة للتفاعل مع المحيط الخارجي"³¹، فهو يشمل كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل، وما يتبناه من اعتقاد أو قصد. فالسلوك بهذا الاعتبار يمثل سلسلة من من العمليات المتتالية، وبشكل يجعل من مجموعها صيغة فعلية واحدة، تؤدي غرضها بعد أن تتجسد حقيقة سلوكيّة. والسلوك البشري -كما أشرنا في التعريف- يستند على ركائز أهمها: المثير، والغاية ، والنية، والقصد. فالمثير هو المنبه الذي يوّقظ في نفس الإنسان الإحساس والاتجاه نحو فعل من الأفعال. وينحصر دوره في لفت النظر وتحريك قوى الإنسان. فكل

²⁸ عبد الفتاح عبد الله بركة، دراسة ونصوص في التصوف والأخلاق، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1400هـ)، ص 33-34.

²⁹ مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية، ط 2، (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، 2003)، ص 297.

³⁰ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط 2، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1999)، حديث رقم: 1386 ، ص 222.

³¹ Colman Andrew, M., Oxford Dictionary of Psychology, 2nd. Ed, (Oxford University Press, 2006), p 84.

موضوع يلقى في الإنسان وازع الحركة يعتبر مثيراً. ويُحدث المثير سلوكاً معيناً عبر سلسلة من الأحداث تتمثل في:

- 1- الاحساس بالثير: وذلك عن طريق الحواس المادية (السمع، البصر، الشم، اللمس، الذوق)، والمعنوية (السرور، الحزن، الاشراق الروحي، اللذة، الألم، ...)، والتي تجمع المعلومات من محيط المشهود والغبي.
- 2- حدوث الإثارة الداخلية في النفس الإنسانية، جراء تعرضها للثير، ولحاجة النفس له.
- 3- اتخاذ موقف الإرادي أو اللاإرادي -في بعض الحالات الغريزية- واصدار الأوامر بالفعل أو التجنب تجاه المثير.³².

وعلى ضوء هذا المسار المشار إليه آنفأً، يبني الإسلام موقفه في التعامل مع الإنسان وترتيب الجزاء على الفعل النهائي. لذلك نجد أن الإسلام يرفض منظور المدرسة التحليلية التي ترى أن السلوك هو نتاج للاوعي المسيطر على الإنسان، أو المدرسة السلوكية التي ترى أن الفعل البشري هو مجرد ردود أفعال حتمية. بل نجد الإسلام ينطلق في نظرته للسلوك من قاعدة "عقدية موضوعية"، يقوم على أساس الإيمان بوجود علاقة وثيقة بين ترتيب المسؤولية والجزاء على الفعل البشري وبين عدالة الله.³³

بناء على ما سبق، نجد أن الإسلام في نظريته للسلوك، أولى أهمية كبرى لكل عنصر من العناصر التي تتعامل مع المثير، فنظمه ووضع الضوابط والمناهج التي توجهه نحو الخير. ووضع قواعد انصباطية للاحتراس من وجود المثيرات الشاذة والمحفزات نحو الفساد، ففعلى سبيل المثال نجد القرآن الكريم يحذّر المسلمين من مغبة إطلاق النظر في المحارم باعتباره من المثيرات البصرية، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30]. وتفادياً لوقوع الإنسان تحت تأثير هذه المحفزات الشاذة وضع الإسلام الموازين والمقاييس لأنضباط الكلمة والفعل والموقف الإنساني. ووضع بالمقابل مناهج لإيجاد دوافع الخير ومحفزات الإصلاح والتكميل الإنساني، واستئصال كل وسائل الدفع والإثارة نحو الفساد والسقوط السلوكي.

لما كان لهذه المثيرات، وما ينتج عنها من دوافع ذات موقع أساسى في المنظومة السلوكية للإنسان، نجد المدرسة السلوكية في الإسلام قد عالجت هذه الإشكالية من حيث "الشكل" ومن حيث "الدافع". فمن حيث

³² إبراهيم بوزيداني، رحلة القيم في عقول أبنائنا، ط1، (اسطنبول: الصفة للدراسات الحضارية، 2024)، ص 54.

³³ أحمد عبد الرحيم السابغ، الحكيم الترمذى ونظرية في السلوك، ص 199-205.

"الشكل"، يبرز مبدأ (الموضوعية الأخلاقية) مرة أخرى، أين جعلت الإرادة الإلهية هي المحدد الوحيد لأنماطه الراسمة لحدوده، وهذا كون كل مناحي المسموح والممنوع -أو القيم والمعايير- في حياة الإنسان قد وضحتها المصادر الأساسية للتشريع، والتي تهدف في الأخير إلى خير الإنسان وسعادته. أما من حيث "الدافع"، فإن الإسلام يرى أنَّ لا دافع ينبغي أن يعلوا على دافع تطبيق الأمر الإلهي. وهذا الدافع يجب أن يكون محصلة لتصديق جازم بصورة ذهنية، أساسها إيمان راسخ بوحدانية الله تعالى، متصل بصفات الكمال، وهي ما يمثل الجانب الاعتقادي للعبودية أو الموضوعية الأخلاقية.

وبهذا نجد أن المدرسة النفسية الإسلامية تركيز على تحليل السلوك ورسم معامله ، وتفكيره تفاصيله، وتوضيح مبادئه، ووغایاته، وما توسط ذلك من مثيرات ودافع ومسالك، نابع من كون الإسلام في صورته العامة يعتبر منهج حياة، والحياة هي عمل وسلوك، وبهذا اعتبر السلوك هو الثمرة التي يسعى الإنسان إلى العناية والاهتمام بها.³⁴

معادلة الفعل الإنساني والسياقات الخمسة للسلوك في القرآن

لما كان في الإنسان قابلية "التأثير" و "التاثير" ، وكان من الواجب صيانة قابلية التأثير لدى الإنسان حتى لا يكون مصدراً للأذى، ولكي لا يكون هو نفسه ضحية للمؤثرات الخارجية المنافية لفطرته السلمية، جاء القرآن الكريم مستوعباً لكل طرائق وأساليب قراءة وتصنيف الفعل البشري. بحيث لم يترك للإنسان أي فراغ معرفي في هذا الصدد. فنجد تحدث عن خمسة سياقات عامة يمكن أن تتشكل فيها أو بها الحركة البشرية، وتمثل في الآتي³⁵:

أولاً- التصنيف العضوي البيولوجي: ورد في القرآن الكريم ذكر عدد من الأعضاء الفيزيولوجية المكونة للوجود المادي للإنسان، فمن خلال هذه الأعضاء وبالية مباشرة أو غير مباشرة يوقع الإنسان الحركة أو الفعل. وقد جاء ذكر إثنان وستون (62) عضو بشري في القرآن الكريم، تشمل جميع أقسام الجسم الخارجية والداخلية، وردت في (645) آية³⁶، وهو ما يعد دلالة ذات أهمية عالية في ضرورة حفظ هذه الأعضاء واستخدامها بطريقة يحها الله ورسوله. لأنها ستكون محلَّ مسألة يوم القيمة، ومثال ذلك ما جاء في قوله

³⁴ أحمد عبد الرحيم السابغ، الحكيم الترمذى ونظريته في السلوك، ص 211.

³⁵ هذا التصنيف هو نتاج عملية استقرائية نفسية-شرعية للنصوص الواردة في كتاب الله عزوجل في سياق الحركة والفعل قام بها الباحث، وهو اجتهاد قابل لإعادة الضياغة والتطور، كما قد يكون مشروع بحث مستقبلي للمهتمين.

³⁶ Aydın, H., Ibrahim, A. I., (2024), Thematic and Semantic Analysis of Human Organs Mentioned in the Quran, *Fırat Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 29(2), pp. 17-39

تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمُ الْسَّنَّةِ هُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24]، قوله أيضاً: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ [الإسراء: 36].

ثانياً- التصنيف الموصعي -داخلي/خارجي-: جاء في القرآن الكريم أيضاً، ذكر للسلوك باعتبار الموضع الذي يصدر منه السلوك والأفعال باعتبارها (داخلية -باطنية-) من أفكار ومشاعر، أو (خارجية) مثل الكلام، والبطش، وغيرها. ومثال ذلك ما جاء في قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدِونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: 90]، قوله ﷺ أيضاً: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِيمَنِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِيمَنَ سَيْجُزُونَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120].

ثالثاً- التصنيف النسقي: ويقصد به الفئات أو الأنساق الاجتماعية التي يتعامل معها الإنسان. فالإنسان في حالة مستمرة من عمليات التأثير والتأثر، فهو بطبعه الاجتماعية في تداخل دائم مع مختلف الأنساق والموجودات حوله. ومثال ذلك قوله الله ﷺ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلِّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمُلَائِكَةَ عَلَى حُبِّهِ ذُوِّي الْفُرْقَانِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعِهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

رابعاً- التصنيف الجغرافي -المكاني-: وهي الفضاءات الجغرافية التي قد يقع فيه الفعل البشري، فالإنسان قد يكون في بيته، أو خارجها، في البحر أو اليابسة، فهي كلها فضاءات مكانية يقع فيها نشاطه، وتكون شاهدة له أو عليه يوم القيمة، يقول الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبه: 121]. ويقول ﷺ أيضاً في موضع آخر: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 24-14].

خامساً- التصنيف الزمانـي: والمقصود به السياق الزمانـي الذي قد تقع فيه الحركة أو الفعل البشري، فالزمان أحد الأبعاد الأصلـية للكينونة البشرية، فلا يمكن أن يقع الفعل في نقطة خارج الزمان، فبانقضـاءـ الحيزـ الزمانـيـ الذي يـشـملـهـ، يـكـونـ قدـ خـرـجـ منـ عـالـمـ التـكـلـيفـ عـلـىـ عـالـمـ المسـاءـلةـ وـالـحـسـابـ. يقول الله ﷺ في هذاـ السـياـقـ: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلُ مُسَمَّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَيَّبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأنعام: 60].

هذه المقاربة القرآنية التكاملية في تصنيف السلوك ضمن السياقات الخمسية سابقة الذكر، تمنح الإنسان سعة الأفق في فهم سلوكه من جهة، كما تمنحه آلية تحليل دقيقة تساعد على تشخيص بؤر الانحراف، ونقطات القوة في سيره لتحقيق جوهره والحفاظ على فطرته المتمثل في (إنسانيته)، وهذا من خلال الحرص على أن تكون كل مخرجاته السلوكية على مستوى الأنساق الخمسة خاضعة للموضوعية الأخلاقية، لتحقيق العبودية التامة، وبالتالي يكون في دائرة الحنفية السمحاء، المحققة لقوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان

إن الغاية الأساسية التي تطمح إليها المدرسة النفسية الإسلامية، كما أشرنا سابقاً هي التوجيه الرشيد لسلوك الإنسان مؤثراً ومتأثراً من أجل تحقيق إنسانيته، عن طريق تحقيق عبوديته، ولن تتحقق هذه العبودية التامة إلا من خلال الاستجابة للمنهج المستمد من كتاب الله ﷺ وسنة رسوله ﷺ، ليحصل في الأخير الحياة الحقيقية المتمثلة في حياة القلب والروح، كما وعده الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمُرْءَ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24]. لذلك فالإنسان في حاجة إلى تطوير وأدوات وتقنيات تعينه على متابعة حركاته وسكناته، وتقييم سلوكيات ليり مدى توافقه مع ما يوصله للحياة الطيبة. فالسلوك، كما وضحتنا في الفقرات السابقة قد يقتربه الإنسان ليلاً أو نهاراً، صباحاً أو مساء، ويباشره بأحد جوارجه، يده أو رجله أو فمه. كما أنه قد يكون مع صديقه أو قريبه أو غيرهما... الخ، وهي السياقات السلوكية الخمسة التي فصلناها سابقاً.

لكن وقبل الحديث عن الشكل النهائي لـ (مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان)، يجب الإشارة إلى بعيدين هامين يتعلقان بالموضوعية الأخلاقية أو السلوكية، كما قد أشرنا إليها باقتضاب في حديثنا عن تعريف (العبادة)، وهو مسألة (النية)، و (دورية السلوك).

السلوكيات البشرية سابقة الذكر في مختلف سياقاتها، تُصنَّف في الأخير حسب دوريتها إلى أحد الأنواع الثلاثة:

1. الأفعال تلقائية: وهي تلك الأفعال التي تصدر عن الإنسان بعفوية ودون قصد منه ولا رغبة، (مثل: السرحان، والنسيان، وحركة اليد عند الكلام، ... الخ).

2. الروتين اليومي: وهي تلك الأفعال التي يقوم بها الفرد من أجل إنجاز ضروريات الحياة، وقد تكون -أو لا تكون- فيها متعة أو أذى (مثل: الحركات التي تقوم بها عند تحضير الطعام، وتنظيف البيت، والسير للعمل، ... إلخ).

3. العادات: وهي تلك الأفعال المقصودة ابتداءً، والآلية لاحقاً، كنتيجة للتكرار والتدريب، حتى تصبح سجية مع مرور الزمن³⁷.

لكن تجدر الإشارة في هذا الباب، أن كل الأفعال السابقة قد تتحول إلى عادات إذا حضر بعد آخر وهو (النية) والقصد والتوجه السليم لله عز وجل. كما أن العكس صحيح أيضاً، فالعادات إذا غابت عنها النية والقصد والتوجه، قد تصبح أفعالاً تلقائية أو روتين أو عادات³⁸، قال رسول الله ﷺ: (... وفي بعض أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوة ويكون له أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)³⁹. ومن الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الناس هو أنهم يقللون من قيمة العادة، أو أنهم ينظرون إليها -بسبب البرمجة النفسية المسبقة- على أنها أمر سلبي. لكن الحقيقة هي أن العادات هي أساس سلوكهم في رسم شخصية الإنسان، وفي الحديث: (الخير عادة، والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)⁴⁰، فالعادات من ناحية دورتها -لا من ناحية أنها أقوال وأفعال مخصوصة-⁴¹ وتكرارها هي (عادة) سلوكية، لكن النية والقصد هو من أرتقي بها لتصاف القدسية والاعتبار الأخرى. لكن العبادة نفسها، قد تعد سلوكاً بعيداً عن القدسية إذا غابت عنه النية والقصد. وهذا مصدقاً لقول رسول الله ﷺ، في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما الأعمال بالنيّة،

³⁷ للمزيد يمكن الرجوع لنوير سلامي، المعجم الموسوعي لعلم النفس، ترجمة: وجيه الأسعد، ج 4، باب العين، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2001)، ص: 1572.

³⁸ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر[شرح] تسهيل العقيدة الإسلامية، ط 2، (الرياض: مكتبة الرشد، 1424هـ)، ص: 8.

³⁹ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط 2، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1999)، حديث رقم: 1386، ص 222.

⁴⁰ أبو عبد الله ابن ماجه القزويني، السنن، تحقيق: عصام موسى هادي، ط 1، (الرياض: دار الصديق، 2010)، حديث رقم: 221، ص 78.

⁴¹ نؤكد في هذا الصدد أننا لا ننكر الفرق بين العادات والعادات من ناحية الطرح الفقهي الشرعي، وما نود التركيز عليه في هذه الورقة، هو التناول السلوكي لل فعل الإنساني، الذي يسعى لبناء عادات سلوكية كافية، تنسجم مع أسم الدين وركائزه. ونشرها للتوضيح، تكون العادات عادات من حيث أنها دورية وتتكرر بوعي وإدراك، وعادات من ناحية المحتوى الإيمان، والتوجه الروحي للخالق سبحانه. بل تعتبر عادة جوهيرية، وبمثابة جبال الرواسي التي تحافظ على ميزان النفس، مثلها مثل جبال الأرض التي جعلت أوطاناً لثبت الأرض. ومن هنا يأتي مبدأ التجديد والرقي الروحي. حيث تتجدد المعرفة الدينية للإنسان ومعها ترتفع العلاقة الروحية مع الخالق سبحانه. فالسلوك ثابة متكرر، والروح والمعرفة متتجدد مرتبطة في معارج العرفان والإيمان، تتقلب بين مرتبة الإيمان والإحسان، ومنازل إياك نعبد وإياك نستعين.

وإنما لكل أمري ما نوى ..)⁴²، وقد ورد عن الشوري أنه قال: "كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل"،
وقال بعض السلف: "رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"⁴³

بناء على كل ما سبق، وبالجمع بين آلية التصنيف السلوكي، ودوريته، نحصل على ما يمكن الاصطلاح على تسميتها بـ(مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان)، أنظر الجدول رقم (01). هذه الأخيرة تساعدنا على تصنيف العادات بدقة، ومعرفة حقيقتها، وبالتالي تساعدنا على دعمها وتطورها إن كانت إيجابية، أو التخلص منها إن كانت سلبية.

جدول رقم (01): مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان⁴⁴

كيف تستخدم هذه المصفوفة، وما هي أغراضها؟

تعتبر هذه المصفوفة أداة تشخيص وتتبع للمنظومة السلوكية للإنسان المسلم. حيث تساعدك على معرفة مواطن القصور في أسلوب حياته، فلما كان الهدف الأسمى للإنسان هو تحقيق (الحياة الطيبة)، التي هي ثمرت إلتزام الإنسان بموضوعية الأخلاق – العبودية، وفطرية البصيرة – تحقيق إنسانيته، كان لزاماً عليه أن

⁴² أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، اعتبرني به: ياسر حسن، عز الدين ضلي، عماد الطيار، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2009)، حدیث رقم: 411-410، ص 2329.

⁴³ مرتضي الزبيدي، إتحاف السادة المتلقين بشرح إحياء علوم الدين، ج 10، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1994)، ص 12.

⁴⁴ هذا المصنفوفة هي نتاج جهد المؤلف حيث تم دمج التصنيفات القرآنية للفعل البشري مع دوريته وتكراره. وهو أيضاً اجتهاد قابل لإعادة الضياغة والتطوير، من طرف المبتدئين.

يكون صاحبة همة في تتبع سلوكاته والرقي بها إلى مصاف الأعمال والأقوال التي يحتمل الله ويرضاها الباطنة منها والظاهرة، ويحقق مطلب الإيمان الذي ورد في الحديث: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)⁴⁵.

وكما هو معروف في مجال الصحة النفسية، فإن الإنسان يعيش حياته ضمن ثلاث وضعيات⁴⁶، وهي:

1- الإنماء أو الإنشاء (Developmental or Promotional): وهو زيادة كفاءة الإنسان الكفاءة، وإلى دفعه لإبراز أقصى مكامن الخير والصلاح فيه.

2- الوقاية (Prevention): أو التحسين النفسي، حيث يسعى الإنسان في هذه الحالة إلى تحصين نفسه من الوقع في مشاكل أو أضطرابات سلوكية، أو انحرافات أخلاقية. وهو خاص بالإنسان السوي الذي يحوم حول حمى الحرام وخالط الشبهات -بالمفهوم الشرعي-.

3- العلاجي (Therapeutic): وهناك يكون الإنسان قد وقع في انحرافات سلوكية، أو مشاكل اجتماعية، أو تقصير أخلاقي وتعديي -بالمفهوم الشرعي-.

هذه الوضعيات الثلاث، تتوقف مع حالات ثلاثة قد يعيشها الإنسان المسلم، يقول الله ﷺ: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)** [فاطر: 32]، **(ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**) هو: المفرط في بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، **(وَمُقْتَصِدٌ**) هو: المؤدي للواجبات، الترك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكرهات، **(وَسَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**): وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكرهات وبعض المباحات⁴⁷. وبإسقاط سلوكي وظيفي، نجد أن:

1- المؤمن بالظالم لنفسه هو في حالة مرضية تتطلب العلاج، من أجل التخلص من الانحراف السلوكي، والرقي بأعماله الخيرة.

2- المؤمن المقتصد هو في موقع التحسين، في موقع قرب من الرقي، وفي نفس الوقت قريب من الانحدار في مطبات الذنوب والأخطاء، وبالتالي حالة تحتاج إلى وقاية.

⁴⁵ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأنباري، إبراهيم باجس، ط 7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 393

⁴⁶ حمدي عبد الله عبد العظيم، مهارات التوجيه والإرشاد، سلسلة تنمية مهارات الأخصائي النفسي (1)، ط 1، (الجيزة: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2012)، ص 79-80.

⁴⁷ إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: يوسف علي بدبو، حسن السماحي سويدان، ج 3، ط 1، (دمشق: دار ابن كثير، 2013)، ص 878-883.

3- والسابق في الخيرات، هو إنسان كفء، منجزٌ محقق لعبوبيته، وإنسانيته، لكنه يطمح دائماً للزيادة وينشد دوماً الرقي السلوكي والروحي، فهو بهذا في حالة إنماء وإنشاء دائمتين.

وعليه، فإن (المصفوفة) ستساعد المؤمن بالظالم لنفسه على تبع مداخل الزلل، فيحدد، مكانها، وزمان وقوعها، والسياق الاجتماعي الذي تقع فيه، والعضو الجسدي الذي يستخدم لوقوعه، والموضع - ظاهري أو باطي. - وتساعد المقتضى على واقية نفسه من الزلل، والابتعاد عن مواطن الإثم، وكذا السابق بالخيرات، فمن خلال هذه المصفوفة يكون قادراً على إدراك مكان القوة والقصور إن وجد، ويكون في حالة دائمة من المراقبة والمتابعة.

يبقى أن نشير في الأخير عن المدة الزمنية الالزمة للتخلص من عادة سيئة أو سلوك غير مرغوب ، وبالمقابل تشكيل عادة حسنة يرغب الإنسان في تحصيلها. أثبتت الدراسات الميدانية أن العادة تتشكل في مدة تتراوح بين 3 أسابيع إلى 9 أشهر⁴⁸، وهذا الاختلاف راجع طبعاً إلى مجموعة من المتغيرات المتعلقة بالعادة في حد ذاتها أو الشخص الذي يتدرّب على تشكيلها، أو تتعلق بالسياق المحيط بالشخص. عليه فيمكن استخدام هذه (المصفوفة) تتوافق وخصائص الفرد المستخدم، لكن في كل الأحوال مدة لا تقل عن ثلاثة (03) أسابيع.

خاتمة

كان من المخطط له في هذه الدراسة، إضافة بحث آخر يتعلق بمركبة (القلب) في المنظومة السلوكية للإنسان، باعتباره المُضيفة التي يتعلق صلاح الجسم وفساده بها، وكذا التطرق إلى محورية الوساوس والخطرات، التي تطأ على القلب، فتكون مصدراً دافعاً للخير أو الشر، باعتبار خاصيتي (التأثير) و (التأثير) اللتان يتميز بهما الإنسان. لكن سنكتفي بإثارة بعض النقاط الهامة في هذا الصدد، لعلها تكون معالم دالة لجهود بحثية مستقبلية ، تفتح آفاق تطوير (مصفوفة التصنيف القرآني لسلوك الإنسان) لتستوعب أبعاد تحليلية أعمق للنفس البشرية والسلوكي الإنساني على حد سواء.

إن الإنسان - كما تشير الدراسات - يستجيب للمواقف الحياتية المختلفة بكليته روحه وجسده. وقد استعمل الولي كلمة "قلب" لتعيين هذه القيادة الموحدة التي توجه سائر أعضاء الجسم. حيث يعتبر القلب⁴⁹، محل الإدراك - الأفكار -، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46]، وهو أيضاً محل الانفعال والمشاعر: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلنَّاسِ أَمْنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

⁴⁸ Verplanken, B., & Orbell, S. (2022). Attitudes, habits, and behavior change. Annual Review of Psychology, 73, 327–352.

⁴⁹ محمد بن الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، ص: 269

وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: 16]، والقلب أيضاً محل الإرادات أو النيات: قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلِكُنْ مَا تَعْمَدُتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 05].

لذلك نجد أن الكفر والإيمان والنفاق تتعلق بالقلب. وهذا تقسيم لأصناف البشر باعتبار توجهاتهم القلبية الكلية، غير التقسيم الذي طرقتنا إليه في طريقة استخدام (المصفوفة)، والذي كان يتعلّق بأصناف المؤمنين حصرًا. فكلّ قلب من القلوب الثلاثة سابقة الذكر فكرٌ ومشاعرٌ وإرادات، ويأتي السلوك ليصدق ذلك أو يكذبه. لكن أحد أهم الإشكاليات الكبرى في علم النفس المعاصر -المؤسس على المنطق المادي- تتمثل في الآتي: كيف تبدأ حركة الإنسان وكيف تتشكل أفكاره ومشاعره ومن ثم أفعاله، وعاداته؟ في منظور المدرسة النفسيّة الإسلامية، يعتبر إلهام الملك أو وسوسنة الشيطان أو نفس منبع الأفكار ومنشأها. فإذا قبل القلب هذه الوسوسنة أو الإلهام صارت الخاطرة فكرة. وأصبحت ملكاً لصاحب القلب. وهذه الفكرة قد تصير إرادة، والإرادة قد تصير عزيمة والعزم فعلاً والفعل عادة. فمبداً الأمر كله إما وسوسنة أو إلهام.

وبناءً عليه، نقترح تطوير أداة تحليل نفسي لتتبع تطورات الإلهامات والوسوسات، من أجل التحكم في بناء العادات الحسنة، وسدِّ الذريعة أما الوساوس المشكّلة للعادات والسلوكيات الرديئة. وهو مشروع بحثي مهم، يكون خطوة متقدمة تسبق استخدام مصفوفة تصنيف السلوك، فالآولى تقنية تحليل متقدمة تتبع منبع الأفكار وترتكز على تفكيك عمل القلب (الأعمال الباطنية)، أما المصفوفة فتتابع السلوكيات والظواهرة وتكتشفها.

المراجع

أولاً- العربية

- إبراهيم بوزيداني، رحلة القيم في عقول أبنائنا، ط1، (إسطنبول: الصفوة للدراسات الحضارية، 2024).
- ابن الصلاح الشهري، أدب المفتى والمستفتى، تحقيق: موفق عبد الله بن عبد القادر (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1986).
- ابن رجب الحنفي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأنطاوط، إبراهيم باجس، ط7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997).
- أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ).
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، اعتمدي به: ياسر حسن، عز الدين ضلي، عماد الطيار، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2009).
- أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج3، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ).
- أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج 8، ج 15-16، الآية (1) سورة الإسراء- الآية (135) سورة طه)، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994).
- أبو عبد الله ابن ماجه القرزي، السنن، تحقيق: عصام موسى هادي، ط1، (الرياض: دار الصديق، بيروت: مؤسسة الريان، 2010).
- أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، ط1، (المغرب: الدار المغربية للنشر والتوزيع، 2024).
- أحمد عبد الرحيم الساigh، الحكيم الترمذى ونظرته فى السلوك، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2006).
- أحمد واعظي، الإنسان من منظور الإسلام، ترجمة: عبد الله آبوغبيش، ط1، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2016).

إسماعيل بن كثير، *تفسير القرآن الكريم*، تحقيق: يوسف علي بدوي، حسن السماحي سويدان، ج 3، ط 1، (دمشق: دار ابن كثير، 2013).

جيري بروتون، *عصر النهضة: مقدمة قصيرة جداً*، ترجمة: إبراهيم البيلي محروس، مراجعة: هبة نجيب مغربي، ط 1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014).

حمدي عبد الله عبد العظيم، *مهارات التوجيه والإرشاد، سلسلة تنمية مهارات الأخصائي النفسي* (1)، ط 1، (الجيزة: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2012).

الراغب الأصفهاني، *تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين*، تحقيق: عبد المجيد النجار، ط 1، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988).

روبرت أغروس، و جورج ستانسيو، *العلم في منظوره الجديد*، ترجمة: كمال خلايلي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 1989).

عبد الحليم بن تيمية، *شرح العبودية*، شرح: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط 1، (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 1998).

عبد الفتاح عبد الله بركة، *دراسة ونصوص في التصوف والأخلاق*، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1400هـ).

عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، *مختصر [شرح] تسهيل العقيدة الإسلامية*، ط 2، (الرياض: مكتبة الرشد، 1424هـ).

فريدل فاينرلت، كوبرنيكوس وداروين وفرويد: *ثورات في تاريخ وفلسفة العلم*، ترجمة: أحمد شكل، مراجعة: محمد فتحي خضر، (المملكة المتحدة: مؤسسة الهنداوي، 2017).

محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، ط 2، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1999).

محمد بن عيسى الترمذى، *سنن الترمذى*، تحقيق: رائد بن صبرى ابن أبي علفة، ط 1، (الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، 2010).

محمد عز الدين توفيق، *التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي*، ط 2، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2002).

مرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتquin بشرح إحياء علوم الدين، ج 10، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1994).

مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية، ط2، (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، 2003).

نزار العاني، الإسلام وعلم النفس: مسرد "ببليوغرافيا" لبحوث ودراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ط1، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008).

نوبير سلامي، المعجم الموسوعي لعلم النفس، ترجمة: وجيه الأسعد، ج4، باب العين، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2001).

ثانياً- الأجنبيّة

Aydın, H., Ibrahim, A. I., (2024), Thematic and Semantic Analysis of Human Organs Mentioned in the Quran, *Fırat Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 29(2), pp. 17-39.

Brennan, J. F., **History and systems of psychology**, (New Jersey: Prentice-Hall, 1998).

Colman Andrew, M., **Oxford Dictionary of Psychology**, 2nd. Ed, (Oxford University Press, 2006).

Loewenthal, Kate, M., **The Psychology of Religion: A Short Introduction**, (Oxford: Oneworld Publication, 2010).

Years, D.F., & Gillam, L., “**Inductive content analysis: A guide for beginning qualitative researchers. Focus on Health Professional Education**”, A Multi-Professional Journal. 23/1 (2022): 111-127.

Verplanken, B., & Orbell, S. (2022). Attitudes, habits, and behavior change. *Annual Review of Psychology*, 73, 327–352.